وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة الثانية عشرة

المعراج والصلاة

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، ما زلنا على درب السيرة نسير، ما زلنا مع الحبيب المصطفى ﷺ، وعلى هذا النهج نتبع، وبهذا الفهم نعمل، ما زلنا مع المرسل رحمة للعالمين ﷺ، مع هذا الرسول الكريم ﷺ، الذي أضاء الكون بالإيمان، وطهر الآذان بالقرآن.

فبين نفحات العطر، وومضات الإشراق نستكمل سيرة عظيم الأخلاق ﷺ، نتناول مقطوعة زكية، ننتقي منها باقات ندية، من جهاد سيد البرية ﷺ.

وقد تكلمنا عن الإسراء والمعراج هذه الرحلة العظيمة التي هي مكافأة الحبيب لحبيبه، هذه الرحلة العظيمة التي هي العلاج الذي مسح آلام الماضي، والتي وضعت بذور النجاح للمستقبل، فيها قَرَّبَ الله حبيبه وأدناه، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما لاقاه من أطراح وأحزان وهموم.

وها هو رسولنا ﷺ وقد اقترب من سدرة المنتهى: **"ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا"**[1].

وسدرة المنتهى **"هِيَ شَجَرَة نَبْق عَنْ يَمِين الْعَرْش لَا يَتَجَاوَزهَا أَحَد مِنْ الْمَلَائِكَة"**[2]، غشيها من نور الله تعالى، هذه عباد الله سدرة المنتهى فوق السماء السابعة، يقول الله تعالى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [النجم: ١٤، ١٦]، وسميت بسدرة المنتهى؛ لأن علم الملائكة ينتهي عندها، كما قال ذلك ابن عباس

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٨٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٢)، واللفظ له.

[2] أيسر التفاسير (١٨٩/٥)، لأبي بكر الجزائري حفظه الله.

رضي الله عنهما والمفسرون[1].

وحدّث النبي ﷺ: **"أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا[2] نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَان، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ: فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ"**[3].

ثم كان لقاء الحبيب بحبيبه لقاء الجبار المتكبر العظيم ﷻ

وقد حكى الدارمي رحمه الله اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على أن الرسول ﷺ لم يـــر ربـــه[4]، وصح عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: **"سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُـــورٌ أَنَّى أَرَاهُ"**[5]، أي حال بيني وبين رؤيته النور، وفي لفظ آخر: **"رَأَيْتُ نُورًا"**[6].

فيا ترى بعد هذه الرحلة العجيبة، ووصول المصطفى ﷺ إلى سدرة المنتهى، ولقائه بربـــه، كيف دار اللقاء؟ وفي أي موضوع كان هذا اللقاء؟

فلنستمع إلى الحبيب ﷺ يكمل هذه الرحلة: **"فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ**

---

[1] الدر المنثور (٦٤٩/٧)، للسيوطي رحمه الله.

[2] أي سدرة المنتهى.

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٨٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٤).

[4] تفسير القاسمي رحمه الله (٤٣٩/٦).

[5] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٨).

[6] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٨).

خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا؛ كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا؛ كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ"[1].

انظروا عباد الله إلى أهمية الصلاة:

أولًا: فإنها فرضت في أعلى مكان يصل إليه البشر، والله قادر على أن يفرضها على النبي ﷺ في مكانه كباقي الفروض، وهذا يدل على عظم الصلاة.

ثانيًا: أن الله ﷻ فرضها بدون واسطة. **ثالثًا:** فرضت في أفضل ليلة لرسول الله ﷺ.

رابعًا: فرضت خمسين أول الأمر، وهذا يدل على محبة الله لها، وعنايته بها سبحانه، وخففت فجعلها خمسًا بالفعل وخمسين بالميزان، وليس المفهوم أن الخمسة صاروا خمسين لأن الحسنة بعشر أمثالها، وإلا لكانت ليس لها مزية عن غيرها من العبادات، ولكن الظاهر أنه يكتب للإنسان أجر خمسين صلاة، فالصلاة عباد الله هي عماد الدين، ولها أهمية عظيمة في الإسلام .

ولا بد أن نتأمل أن في المعراج شرعت الصلوات الخمس؛ لتكون معراجًا يرقى بالناس كلما تدنت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا.

والصلوات التي شرعها الله غير الصلوات التي يؤديها كثير من الناس، وعلامة صدق الصلاة أن تعصم صاحبها من الدنايا، وأن تخجله من البقاء عليها إن أَلَمَّ بشيء منها.

فإن كانت الصلاة مع تكرارها لا ترفع صاحبها إلى هذه الدرجة؛ فهي صلاة كاذبة، فأصحاب القلوب الميتة لا تجدي معهم الصلاة فتيلًا، ولا يزالون كذلك حتى تحيا قلوبهم

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٨٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٢)، واللفظ له.

أو يواريها الثرى.

إذن عباد الله، بعد ذلك نسأل سؤالًا:

ما هو حكم الصلاة؟ ومن ترك الصلاة ماذا عليه؟

سيجيب عن ذلك: الله ﷻ، ويُبَيِّنُ الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم مراد الله.

يقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[التوبة: ١١]، فشرط الأخوّة الدينية في ديننا الحنيف: أن يتوبوا من الكفر، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة.

وتوضيحًا لذلك فقد قال رسول الله ﷺ: **"بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ"**[1]، ولقد وَضَّحَ النبي ﷺ أن الصلاة هي الفيصل في الأمر بين الإيمان والكفر، وقال ﷺ: **"الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا؛ فَقَدْ كَفَرَ"**[2].

ولهذا فقد نقل عن ستة عشرة صحابيًا أنهم قالوا: تارك الصلاة كافر، ولم يفرق الرسول ﷺ ولم ينقل عن هؤلاء الصحابة التفريق بين تركها كسلًا أو عمدًا؛ ولهذا قال جمع من أهل العلم أن من تركها كسلًا أو عمدًا؛ فإنه يكفر.

ونقل عبد الله بن شقيق رضي الله عنه -وهو من التابعين- الإجماع عن أصحاب النبي ﷺ، وقال: **"كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ"**[3]، ونقل إسحاق بن راهويه رحمه الله أيضًا الإجماع عن الصحابة بأن تاركها يكفر[4].

فلا نتهاون في الصلاة، ولا نؤخرها حتى ينتهي وقتها، وإلا فلك الويل من الله ﷻ، فهو القائل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨٢).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٦٢١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٢٦٢١).

[3] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٦٢٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٢٦٢٢).

[4] الشرح الممتع لابن عثيمين رحمه الله (٣١/٢).

﴿يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾[الماعون: ٤ – ٧]، أي: الويل لهؤلاء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، والويل وادٍ في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيوحهم؛ لأنهم كانوا يؤخرون صلاتهم حتى يخرج وقتها، وأغلب حالهم كانوا يصلونها عند قرب خروج وقتها.

وهذا أمر مخيف عباد الله؛ فعندما ترى أن كثيرًا من الناس لا يصلون، والأعجب من ذلك أن الآباء غافلون وكذلك الأمهات؛ فإن دخل الأب على ابنه وعلم أنه لم يذاكر في هذا اليوم؛ لربما ثار، وكذلك الأم، وربما لم يسأل ابنه: هل صليت أم لا؟ كل شيء صار مزيفا، حتى حبنا لأولادنا صار مزيفًا؛ إذ إنك كيف تحب ابنك، وأنت تسمنه، وتطعمه، وتعلمه؛ ليدخل النار؟! أتظن أن نجاته فقط في الطعام، والشراب، والملبس؟! أم تظن أن نجاته فقط في التعليم والتتره؟

أخي الحبيب: إن نجاتك وأولادك في الصلاة وفي صلتكم بالله ﷻ، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

وقد أوجب رسولنا ﷺ على الأب أن يأمر ابنه أو ابنته بالصلاة لسبع ويضرب عليها لعشر[1]، فإن لم يتعلم ويتعود على الصلاة منذ الصغر؛ فسوف يكبر وتراه كما هو الحال في الكثير من الشباب اليوم.

ثم تعالوا معي عباد الله نتدارس أمرًا هامًا، وهو صلاة الجماعة، ويظن كثير من الناس أن صلاة الجماعة هذه كأنها أمر من الكماليات، أو مجرد مظهر من المظاهر فحسب، يصلي في المسجد أو لا يصلي، حسب وقته ورغبته.

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٤٩٥)، وصححه الألباني رحمه الله في إرواء الغليل (٤٩٥).

أتظن أن المساجد التي هي بيوت الله بنيت لكي تخرب؟ أم تظن أن الله سبحانه وتعالى عندما قال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧]، أن هذا الكلام هباء أو مزاح؟!

أيها المسلمون، حكم صلاة الجماعة: واجبة على كل مكلف ذكر مستطيع

فإن أُذِّنَ للصلاة، وقيل: حي على الصلاة؛ فالأمر خرج من يديك أيها العبد المكلف، فلا مخرج لك إلا أن تذهب وتصلي في المسجد، وتترك كل شيء، وإلا فأنت المسؤول عن أفعالك، وهل تسمع الأذان؟

الله أكبر الله أكبر ... الله أكبر الله أكبر

الله أكبر من العمل، ومن البيت، ومن المال، ومن الدنيا بأسرها، تذكر ذلك يا عبد الله

أشهد أن لا إله إلا الله ... أشهد أن لا إله إلا الله

فتدبر أنه لا معبود بحق إلا الله، فله العبادة التي فرضها، ومنها الصلاة

أشهد أن محمدا رسول الله ... أشهد أن محمدا رسول الله

ويظهر ذلك يا من تحب النبي ﷺ وتتبعه في أفعالك بأن تذهب إلى المساجد، وتحضر الجماعات.

حي على الصلاة ... حي على الصلاة

حي على الفلاح ... حي على الفلاح

فهيا إلى الفلاح، هيا إلى الفلاح

فإن أبيت بعد كل ذلك فاعلم أن:

الله أكبر الله أكبر ... لا إله إلا الله

وأنت المحاسب على أفعالك

عن أبو هريرة رضي الله عنه: "**أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَجِبْ**"[1]، وقال ﷺ: "**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ؛ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**"[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "**وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا، إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ**"[3]، فالرجل المريض يؤتى به، فيمشي بين الرجلين حتى يقام في الصف؛ فدَلَّ ذلك على الوجوب.

صلاة الجماعة واجبة عباد الله، أما قوله ﷺ: "**صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**"[4]، فليس هذا الحديث دالًا على عدم وجوب صلاة الجماعة؛ لأن النبي ﷺ عندما ذكر الأفضلية لم يرد بذلك عدم الوجوب.

ألم تستمعوا إلى قوله تعالى في صلاة الجمعة وهي واجبة: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الجمعة: ٩]؟ نعم ذلكم خير لكم، ومع ذلك لم يقل أحد بأن صلاة الجمعة غير واجبة.

ثم أيها الإخوة المسلمون، ما المعنى بأن يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ**﴾[البقرة: ٤٣]؟ وهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب، هل

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٦٥٣).

[2] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (٧٩٣)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٧٩٣).

[3] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٦٥٤).

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٤٥)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٦٥٠).

كلامه سبحانه هُزوًا –والعياذ بالله-؟ سبحانه فالحكمة موجودة في كل أمـــر، ونهـــي، وحرف في كتابه العزيز.

وها نحن الآن عباد الله مع آيات عجيبة تدل على وجوب صلاة الجماعة.

فالمسلمون يحاربون الكفار، والأمر شديد، والمواجهة بين الفريقين محتدمة، ولحظات وتبدأ المعركة، ومعهم رسول الله ﷺ، إذن فليصل كل منهم لحاله، أو جماعات قليلة متفرقة إن كانت صلاة الجماعة غير واجبة، ولكن يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[النساء: ١٠٢]، الله أكبر الله أكبر عباد الله؛ ولهذا فصلاة الخوف شرعت بطرق متعددة حسب موقع العدو من الجيش.

فإذا عرفت كل هذا؛ فمن الطبيعي إذن أن تسمع النبي ﷺ يقول: "**وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**"[1]، ولكن الذي منعه ﷺ –والعلم عند الله– أنه لا يعاقب بالنار إلا رب النار ﷻ، كما أنه يوجد أطفال ونساء لا تجب عليهم صلاة الجماعة.

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٥٧)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٦٥١)، واللفظ لمسلم رحمه الله.

إذن عباد الله الصلاة الصلاة، وأوصيكم بصلاة الجماعة، ولنعلم أن المقصود من الصلاة أن تنهانا عن الفحشاء والمنكر، فما لها لا تنهانا عن ذلك؟

كان الحبيب ﷺ يقول: " **أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلالُ**"[1]؛ أي: بالصلاة، فما لنا؟! وكأن لسان حالنا يقول (أرحنا منها)، هذا عباد الله لأننا لم نذق طعمها وحلاوتها، يقول سفيان الثوري رحمه الله: "**يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقِلَ مِنْهَا**"[2]، وقال ﷺ: "**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا**"[3] والخشوع روح الصلاة، قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١ – ٢].

الخشوع: وهو أن تدخل في الصلاة، وتجمع قلبك، وبدنك، وفكرك، ووجدانك عليها.

الخشوع هو أن تتدبر كل كلمة وكل هيئة في الصلاة.

فإذا قلت: **الله أكبر** ورفعت يديك؛ فكأنك بهذا الرفع رميت الدنيا خلف ظهرك، وتفرغت للرحمن ﷻ، إذا قلت: **الله أكبر**؛ تدبرت بعقلك وتيقنت بقلبك أن الله أكبر من كل شيء؛ من مالك، وأولادك، وعملك، والدنيا بأسرها.

لو تدبرنا فقط **الله أكبر**، فأنت تقولها في اليوم الواحد إذا صليت الفروض، والسنن، والوتر، وختام الصلاة ما يقرب من أربعمائة مرة، فلو شعرت بهذا الشعور في كل مرة؛ لثبت في قلبك.

ثم إذا تدبرت **الفاتحة** التي تقرأها ما يقرب من أربعين مرة في اليوم، وتدبرت: ﴿ **الْحَمْدُ**

---

[1] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٦٢١٥)، وقال العراقي رحمه الله في تخريج الأحياء (٢٢٤/١): إسناده صحيح.

[2] أخرجه أبو نعيم رحمه الله في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦١/٧)، وقال العراقي رحمه الله في المغني عن حمل الأسفار (١٨٩/١): لم أَجِدهُ مَرْفُوعا، وصحح إسناده الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٦٩٤١).

[3] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٧٩٦)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٧٩٦).

﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ فتشعر بحمد **الرحمن الرحيم**، فتدبر هذه الرحمة.

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] فشعرت وأحسست بأنه ﷻ الملك المتصرف يوم القيامة.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: ٥]، فعلمت أن العبادة لله وحده، والاستعانة به وحده؛ فيزداد إيمانك ويقينك بالله تعالى، وهكذا عباد الله لو تدبرت التسبيح عندما تكون راكعًا ذليلًا لمولاك.

ثم تقول: **سبحان ربي العظيم**، أي: أنزه ربي العظيم عن كل نقص.

وعندما تقول: **سبحان ربي الأعلى**، وتتدبر وأنت ساجد في الأرض، وأنفك في الأرض، وتتره ربك الأعلى؛ فهنا تعلم قدرك وقدر الله، فتخرج من صلاتك خاشعًا ذليلًا قانتًا لله ﷻ.

وما أجمل ما قاله ابن الجوزى : **"إِمَّا أَن تصلي صَلَاة تلِيق بمعبودك، أَو تتَّخذ معبودا يَلِيق بصلاتك"**[1]، فلما كانت الثانية مستحيلة؛ فليس لنا إذن إلا أن نخشع في صلاتنا.

هذه هي الصلاة التي شرعت في المعراج؛ لتكون معراجًا يرقى بالناس كلما تدنت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا.

وعلامة صدق هذه الصلوات: أن تعصم صاحبها من الدنايا، وأن تخجله من البقاء عليها إن ألم بشيء منها، فإن لم ترق به فهي صلاة كاذبة، فأصحاب القلوب الميتة لا تجدي معهم الصلاة فتيلًا، ولا يزالون كذلك حتى تحيا قلوبهم أو يواريها الثرى.

هكذا عباد الله كانت رحلة الإسراء والمعراج التي تكلمنا عنها في سياق حديثنا عن سيرة عظيم الأخلاق ﷺ، وكانت فتحًا من الله ﷻ؛ إذ إنه بعد ذلك بدأ أهل يثرب يَفِدُون إلى رسول الله ﷺ، وهم لا يعلمون أنهم من أعلى الناس حظًا وتوفيقًا؛ إذ إنهم سوف يحظون بالرسول ﷺ، وسوف تصبح مدينتهم يثرب بعد دخول النبي ﷺ فيها هي المدينة المنورة.

---

[1] المدهش (١/٤٥٦)، لابن الجوزي رحمه الله.